**عوامل النهضة الفكرية والأدبية خالل القرن التاسع عشر.**

عملت السلطات الفرنسية جاهدة من أجل محو معالم الثقافة العربية وطمس خصوصية الهوية الجزائرية من لغة ودين وثقافة ،غير أنّ فئة بارزة من أبناء هذا الوطن- منهم علماء ومثقفون- أدركوا خطورة هذه السياسة، فعملوا على نشر العلم و الوعي القومي لدى عامة الشعب عن طريق تأسيس المدارس و النوادي والجمعيات رغم شدة مراقبة السلطات الفرنسية لمثل هذه النشاطات وصعوبة منحها الاعتماد، فالعديد منها كان ينشط بطريقة غير شرعية.

أمّا إذا انتقلنا إلى الناحية التاريخية فيمكن اعتبار أواخر القرن التاسع عشر في الجزائر، بداية لتحول عميق على مستوى المنظومة الفكرية والثقافية الجزائرية الحديثة، نتيجة للتحولات التاريخية التي صار يعرفها العالم الحديث. وبالنظر إلى صراع القوى الاجتماعية فيبدو التطور الجدلي للواقع مستجيبا لحتمية تاريخية صنعت جملة من التناقضات، وبالنظر إلى رأي المؤرخين، تؤدي العوامل الداخلية والخارجية دورها البارز في النهضة الفكرة والأدبية في الجزائر، من خلال ما تسهم به من تفاعلات اجتماعية جديدة.إلى جانب عامل الاحتكاك الذي يُعدّ عامل انفتاح ومحاولات جادّة للاكتشاف والفهم في الآن ذاته، إلا أنه لا يمكن أن يصنع التحولات التاريخية المطلوبة.كما أن عامل الثقافة والرغبة في تكوين رؤية جديدة لا يمكن أن تتأتى من معطيات نظرية أو تصورات ذهنية صرفة بعيدة عن خصوصيات الواقع المعاش، لذلك يبدو التفسير المنطقي للتحولات التاريخية القائمة هو عامل الوعي الذهني المستند لرؤية واقعية ناتجة عن التطورات المادية لنسق الحياة الاجتماعية.

تُعدّ النهضة الفكرية والثقافية في الجزائر مع نهاية القرن التاسع عشر حقبة هامة من تاريخ الجزائر، حيث أن الأوضاع التي عمّت الجزائر ساهمت وبدور كبير في ظهور الحركة الفكرية والثقافية، ففي ظل سلب مقومات السيادة وكذا تضييق الخناق على الشخصية الإسلامية بالإضافة إلى انطفاء وتراجع المقاومة الشعبية بعد 1871، كان كل ذلك سببا أدى إلى ظهور نخبة دعت إلى ضرورة السعي لتحسين أوضاع المجتمع. ولا شك أن احتكاك المجتمع الجزائري خاصة المثقفين بالمنتوج الحضاري الأوروبي عن طريق الاحتلال داخليا وتأثيره بحركة النهضة والإصلاح خارجيا، قد أثر في بعث بوادر النهضة بالجزائر نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

لقد اتبعت الطبقة المثقفة الجزائرية مسارا آخرا في النضال ضد الاستعمار الفرنسي من خلال التركيز على جانبين يتجسّدان في: **العوامل الداخلية** **والعوامل الخارجية**:

1. ***العوامل الداخلية*** *:*

* ظهور كوكبة من العلماء والصلحاء والشيوخ الذين وقفوا بكل حزم وصرامة في وجه السياسة الجهنمية للسلطات الفرنسية الاستعمارية في الجزائر، والرامية إلى تفويض الأسس الحضارية للمجتمع الجزائري بمحاربة الدين الإسلامي، واللغة العربية لاجتثاث جذوره ومحو أصوله، ليسهل عليها سياسة الإدماج فكانت النخبة لها بالمرصاد، حيث أعطت محتوى جديد للحركة الوطنية.
* فشل كل الثورات العسكرية السابقة وتواصل المقاومة الثقافية وهي تتحدى الصعاب من خلال تمسكها بالجذور الإسلامية، التي يمثل فيها الدين الإسلامي الدور الاستراتيجي الموحد للمجتمع والمقوي لروابطه.
* إقبال الناس على العلوم بفضل النهضة العلمية الحديثة ودعاية العلماء المصلحين الأولين، حيث تكونت طائفة كبيرة من العلماء العاملين، وهم مصلحين ومن هم من كان تعلمه عربيا خاصا وثقافته دينية،تخرجوا من معاهد الجزائر العربية الحديثة، ومنهم من كان تعليمه مزدوجا، تعلموا من الكتاب ما يجب عليهم من العربية، وعرفوا دينهم ثم أدخلوا في المدارس الفرنسية إلى أن رحلوا إلى فرنسا، فدخلوا جامعاتها وتحصلوا على الدكتوراه، ثم رجعوا إلى الجزائر وأعطوا نفوسهم للأمة وإلى النهضة الحديثة،وأنقذوا وأصلحوا، وكانوا من حماة الإصلاح ودرعا للنهضة.
* الإصلاحات السياسية في فترة كل من الحاكم العام جول كامبون وشارل جونارالمعروفين بسياستهم المعتدلة اتجاه الأهالي واهتمامهم بالتعليم، الأمر الذي بعث الأمل في النخبة الجزائرية ووفر لها ظروف النشاط،حيث تعد فترة حكم جيلكامبون والفترة الثانية من حكم شارل جونار 1880-1914 إلا بروز مقترحات وإصلاحات، حيث يقول شارل روبير أجرون عن کامبون " برز جول کامبون كحاكم عام للجزائر نهاية القرن التاسع عشر، كانت فترة حكمه متميزة إذ لم يستسلم لضغوطات المستوطنين ورأى أن مصلحة فرنسا أهم من مصالح فئوية ضيقة". أما فلسفة جونار فتنطلق من إيجاد سبل للتقارب بين المسلمين الجزائريين والمستوطنين، ومنح بعض الحقوق للجزائريين ليشعروا بارتياح اتجاه الإدارة الاستعمارية، فشارل جونار يؤمن إيمانا راسخا بأن مصير الاستيطان سيظل مذبذبا مالم تعمد فرنسا إلى تسطير سياسة تقارب دائم بين المستوطنين والأهالي في حين أن قانون الأهالي المتشدد لا يتيح للمستعمرة أي ضمانات إضافية والتالي الغرض المرجو هو توفير معاملة أكثر عدلا وإنصاف للجماهير المغلوبة على أمرها. انتشار البدع والاعتقاد بالخرافات، وطغيان الطرقية، فكانت بداية عصيان المثقفين وتمردهم وانتفاضة بعض الأعيان القبلية، وخروج بعض الطرقية يدل على أن شيئا ما بدأ يتحرك داخل هذا العالم الاجتماعي، وأن مسألة التوازن والتوفيق بين قواه المخالفة ماضيا قد أصبح من الطبيعي ضمانه بل ومواصلته على النحو الذي كان عليه سابقا.

***ب- العوامل الخارجية :***

* مشروع الجامعة الإسلامية والحركة الإصلاحية بقيادة جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وانتشار الصحف والجمعيات في المشرق وفرنسا وتأثيرها على المجتمع الجزائري، وذلك بتأثير نداء الجامعة الإسلامية على النهضة الثقافية في الجزائر، كانت فكرة الجامعة الإسلامية أو مشروع الوحدة الإسلامية أثر في النخبة الجزائرية ذات التوجه الإصلاحي، فقد كان للجامعة الإسلامية وقع هام على الحركة الوطنية الجزائرية، وقد كان تولي عبد الحميد الثاني شؤون الدولة العثمانية، مصدر تدعيم لنشاطات الجامعة الإسلامية في الجزائر. ونتيجة لذلك خلقت جمعيات سرية لنشر فكرة الجامعة الإسلامية، حيث انضم عدد من الجزائريين إلى الجمعيات الدينية خلقها دعاة السلطان عبد الحميد في المدينة، كما شجع دعاة الجامعة الإسلامية حركة هجرة جزائرية نحو الشرق الأدنى أواخر التسعينات من القرن الماضي، وكذا أتيح للمهاجرين الجزائريين أن ينضموا إلى لجان الجامعة الإسلامية التي أنشئت لتشمل المسلمين الذين كانوا تحت الحكم الأوروبي. وهنا نستخلص أهم تأثيرات الجامعة الإسلامية وأفكارها على الجزائر، حيث قدمت النهضة الفكرية أشكالا مختلفة وتصورات جديدة وأفكار حول أساليب النضال من خلال الكتب والصحافة، وثانيا شجعت الجزائريين للهجرة نحو المشرق وأخيرا التعريف بالقضية الجزائرية من خلال مهاجمتها للحكم الفرنسي، وتشجيع الجزائريين على رفض التجنس فأسلوب محمد عبده كان الأكثر تأثيرا لإمكانية تجسيده في الواقع وبإمكانيات متفاوتة.
* كانت الصحف والجرائد التي تصل إلى الجزائر ذات تأثير كبير في بعث النهضة الجزائرية، فإن كان محمد عبده لم تؤثر شخصيته على الجزائريين فإن أفكاره عن الإصلاح الديني، وعن .. الجامعة الإسلامية كانت معرفة في كامل القطر الجزائري، وذلك من خلال جريدة المغرب 1903 التي كانت تنشر أراء عبده عن الشؤون الإسلامية، كما نشرت جريدة دو الفقار أفكاره التي كانت تظهر في الجزائر العاصمة 1913 -1914، أيضا هناك جريدة أخرى تنشر أفكاره عن الجامعة الإسلامية وهي الإحياء التي ظهرت بالعربية خلال سنة 1906-1907.
* كان لاحتكاك الجزائريين بالجمعيات الناشئة، والتي ساهموا في ظهورها في جوان 1907 أسس مجموعة من المثقفين المسلمين في باريس جمعية الأخوة الإسلامية، وقد أنشأت الجمعية مكتبة تابعة لها متعددة اللغات : لغات الإسلام العربية، والتركية، والفارسية، ولغات الدراسات الإسلامية، وأعلنت عن إصدار نشرة وعن نشاطاتها الأساسية، وهي تنظيم للتعريف بالإسلام ومعالجة مشاكل المسلمين.
* الصحافة كآلية من آليات المقاومة الثقافية : فبوحي من روح النهضة الثقافية والفكرية التي عرفتها الجزائر، خلق الجزائريون ولأول مرة صحافة وطنية ونوادي وجمعيات إصلاحية، ونادوا بالتحرير عن طريق التعليم، وقد بدأوا لأول مرة يحاولون كتابة تاريخ أجدادهم، ويبعثون الحياة في الوثائق المغطاة بالغبار المكتوبة بلغتهم الوطنية، ذلك أن الاستعمار الفرنسي قد احتكر الصحافة إلى سنة 1900، حيث تأسست أول صحيفة في الجزائرباسم بريد الجزائر لتكون الناطق الرسمي للاستعمار في الجزائر والمدافع عن مشاريعه العدوانية التوسعية، وذلك تحت شعار جريدة تاريخية وعسكرية، وذلك من 1830 إلى غاية 1850م. فقد نشأت الصحافة الفرنسية في الجزائر، وأصدرت مجموعة من الصحف بداية ببريد الجزائر،والممرن الجزائري والنشرة الرسمية لعقود الحكومة والأخبار والسيبوس، والجزائر وصدى وهران، فرنسا الجزائرية وبريد إفريقيا، وجريدة المبشر العربية،وإفريقيا الفرنسية والجمهورية والمحروقة والأطلس، وقد انتشرت هذه الصحف في كل مكان وتحولت إلى وسيلة ضغط في يد المعمرين لضغط على السلطات الرسمية،
* أصبحت الصحافة وسيلة من وسائل الاتصال الأكثر نفوذا وتبوأت مكانتها في المجتمع الجزائري. فبوحي من روح النهضة خلق الجزائريون لأول مرة صحافة وطنية كتعبير بارز عن انسياق المثقفين الجزائريين نحو انتهاج أسلوب النضال، ومن أهم الصحف التي أصدرت خلال القرن العشرين جريدة المصباح ذات اللسانين وكان هدف هذه الجريدة الإسهام في التفاهم بين المجموعة الجزائرية والمجموعة الفرنسية، وجريدة الإسلام 1912، وجريدة الجزائر الشهرية 1908 ذات اللسان العربي فقط، وكان هدفها هو توعية وتثقيف وتعليم الجزائريين الوضع العالمي. وقد ظهرت في عالم الصحافة فوج من الصحفيين الجزائريين كتاب ومترجمين، واستمر هذا الفوج يمتهن الصحافة والتدريس عشرات السنين، ومن أبرز هؤلاء الكتاب أبو القاسم محمد الخضاري، ومحمد بن مصطفى الشرشالي، والعربي فخار، والعلامة بن شني وصحفيون آخرون،ومن بين العوامل التيساعدت ايضا على انتشار الصحافة هو بروز نخبة ه الأوروبية، والتي تعلمت في المدارس الفرنسية، فمع مطلع القرن العشرين، ي من الجزائريين المسلمين أتخد شكلا جديد في التعبير عن مطالبه وطموحاته، و نخبة من المثقفين المفرنسين. وما ميز تاريخ الصحافة في الجزائرفي فترة 1882-1914م أن أغلب مدراءه المتعاطفين مع الجزائريين المسلمين، وبعض الصحف العربية أنشأتها الإدا لمواجهة تأثير الصحافة الأجنبية باستخدام صحفباللغة الأجنبية باستخدام صحف على غرار النصيح (1899 -1900) والمغرب 1903 وبالرغم من ذلك فقد قامد الحرب العالمية الأولى بدور الأحزاب السياسية في نشر الأفكار داخل المجتمع ال هذا وقد استفادت الصحافة الجزائرية من الصحافة العربية التي كانت تأتيه العربي، ومما لاشك فالصحافة ولا سيما المصرية منها قد قدمت نموذجا حيا على منواله النماذج الجزائرية، وتعود صلة الكتاب الجزائريين بالصحف الشعلى منواله النمادج الجزائرية، وتعود صله الجزائريين بالصحف الشرقيه إلى بدايه القرن العشرين مع صلة الحركة الإصلاحية بالجزائر أمثال محمد بن مصطفى بن خوجة، وعبد الحكيم بن سماية وعبد القادر لمجاوي، وهكذا استطاع الجزائريون خلق صحافة مؤثرة بلغتهم الخاصة، وقد كانت قسنطينة والجزائر ووهران مراكز النشاط الصحفي، ولاشك أن أي شكل وتكتيك الصحافة الجزائرية الأولى كان يفتقران إلى شيء، ولكن روحها واتجاهها والقضايا المدروسة كانت هامة كثيرا في بلورة القضية الوطنية للرأي العام الجزائري. نستنتج أن جهاد الصحافة الوطنية طبع تاريخ حياتهم، وكذلك أعطى ملامح للمقاومة المستمرة ضد استعمار غاشم، كما استطاعت أن تقاوم في أدب وصبر مما جعل تاريخها حافل بالصراع والمقاومة، ولعل ما يعني الدارس والباحث على تفهم دور الصحافة الجزائرية الوطنية هو التعرف على المناخ الخانق الذي نشأت فيه هذه الصحافة. الجمعيات والنوادي الثقافية : الجمعيات والنوادي ظاهرة اجتماعية تدل على النضج والاستجابة لمتطلبات الحياة المدنية الحديثة، والجزائر التي كانت تعيش تحت تعسف السياسة الاستعمارية، ولم يكن لها تتبع هذا النشاط دون أن يتعرض القائمون عليها للاضطهاد والسجن، ومن جهة أخرى فقد كان الجزائريون محرومون من صفة وحقوق المواطن فقد كان القانون الفرنسي يعتبرهم رعايا، ولا يمكنهم أن ينشروا أراء الحركة ولا الحقوق المدنية ولا السياسية حتى الجمعيات الثقافية والفنية. ولقد تأسست الجمعيات الثقافية في الجزائر بناءا على قانون الجمعيات الصادر في 01 جويلية 1907 والتي نصت المادة الثالثة عشر منه أن الجمعيات الدينية يتم إنشاؤها بترخيص من مجلس الوزراء، ويتم حلها بترخيص منه ونصت المادة الرابعة عشر على أنه لا يرأس الجمعية شخص ينتمي إلى جماعة دينية محظورة، ورغم ذلك فقد منح هذا القانون بعض الحريات في تأسيس الجمعيات مقارنة بالقوانين التي سبقته مثل قانون 28 جويلية 1848، وقانون 14 مارس 1872، وقانون 30 جوان 1881،لأن قانون 1901 سمح بتطبيقه في الجزائر وباقي المستعمرات.
* جسّدت الجمعيات والنوادي ظاهرة اجتماعية عكست النهضة الجزائرية وأرست معالمها من خلال مؤسساتها، فما بين 1890 و1914 كان هناك عدد من النوادي والجمعيات الثقافية التي كانت تؤدي وظيفة المدرسة وخلوة للأحاديث وملتقى اجتماعي للرياضة،والإسعاف، ومقر النشاط السياسي، وأكثر أسماء هذه المراكز والجمعيات تدل على روحها وعلى برنامجها : مثل التوفيقة، ودادية العلوم الجديدة، نادي التقدم، نادي الشباب الجزائري، جمعية الهلال نادي الاتحاد والرشيدية وغيرها. ومن بين المنظمات الثقافية التي ساهمت في النهضة الجزائرية الجمعية التوفيقة،وقد أنشأت هذه الجمعية سنة 1908 ، تم إعادة النخبة تنظيمها سنة 1911، وبعد سنة واحدة كان لها مائتا عضو،وبناءا على قانونها الأساسي فإن هدفها كان جمع أولئك الجزائريين الذين يرغبون في تثقيف أنفسهم، وتطوير الأفكار العلمية والاجتماعية، وقد كان رئيس هذه الجمعية هو الدكتور ابن التهامي الذي كان أحد زعماء النخبة في ذلك الوقت. وظهرت في الجزائر عدة جمعيات أخرى على غرار الجمعية التوفيقة منها الراشيدية والصديقية بعنابة وغيرها من النوادي التي كانت تلقى فيها المحاضرات باللغتين العربية والفرنسية، وقد ساهمت الجمعية الراشيدية أيضا بأهداف وملامح شبيهة بأهداف هذه النوادي خاصة نادي صالح باي، حيث أسس هذه الجمعية سنة 1894 شبان جزائريون من خريجي المدارس الفرنسية الجزائرية، وكانت الجمعية تصدر نشرة بالعربية والفرنسية، وتعقد سلسلة من المحاضرات الهامة، وتساعد على نشر التعليم والأخوة. وعندما ترعرعت جريدة الحق الوهراني " أسسها الشبان الجزائريون المنتمون لها "، جمعية المدرسين الأهالي لعمالة وهران، وفي مايو 1912 عرفت باسم ( جمعية الصداقة)، وكان على رأسها معبدبنعودة، وكان هدف هذه الجمعيات والنوادي تثقيف الجزائريين، ويمكن القول كل من نادي صالح باي، والجمعية الراشدية والجمعية التوفيقة ساهم مساهمة فعالة فييقظة الجزائريين خلال هذه الفترة، ذلك أن زعمائها اهتموا بالتركيز على التعليم والتقدم والتحرر،فقد حاولوا أن يطوروا المجتمع الجزائري، وأن يجعلوا منه مجتمعا حديثا، ومتنورا بدل مجتمع قديم وتقليدي، كما أن الأفكار الأوربية قد ساهمت من خلال النادي والجمعيتين فـي النهضة الجزائرية.